اطلعنا حضرة القس جرجس منش على نسخة من مجموع رسائل بولس الراهب التي نشرناها في المشرق وعلى كتاب مُدرك النجاة ومحجّة الفوز بالحياة لمار طيماوثاوس اسحق مطران آمد . ومنهُ نسخة اتمّ واقدم في المكتبة المارونيّة

هذا بعض ما توفّقنا الى معاينته في الشهباء من التآليف القديمة . واما تآليف القرون المتأخرة فهي اكثر عدداً وسنوردها في مقالة اخرى ان شاء الله

وكان خروجنا من حلب في ٢ تشرين الاوّل شاكرين لله على ما حظينا بهِ في هذه الرحلة من مواجهة الفضلاء والاقتباس من انوار الادباء متمنّين للشهباء ان يجليها الله بحلل الاكرام ويُسبغ على اهلها شآبيب الانعام تحت ظلّ الحضرة الشاهانيّة ادامها الله بالالطاف الالهيّة والخيرات السماويّة

رحلة

اول سائح شرقي الى امركة

(١٦٦٨ — ١٦٨٣)

عُني بنشرها وتعليق حواشيها الاب انطون رياط اليسوعي (تابع)

١٦ كيتو وضواحيها

ثم اني استقرّيتُ في دير رهبان مار عبد الاحد مقدار ساعتين فسمع حاكم هذا البلد عن قدومي وتزولي في الدير فخلّى سرايته وجاء سريعاً زارني وهو مغتاظ وعاتبني على ذلك . فقلت لهُ : « تعلم ياحبيبي ان الرهبان خرجوا للاقاتي قناقين (١ واتوا بي الى ديرهم . قل للرئيس وخذني الى سرايتك » . فما رضي الرئيس ان اطلع من الدير لكن تشارطوا مع بعضهم وفرضوا ان اكون طول النهار مع الحاكم واتغدى معهُ وفي الليل مع الرئيس وارقد في قلايتي انا وخادمي . لان هذا الحاكم المبارك كان رفيقاً معي من اسبانية وجئنا جملة في مركب واحد وكلما كانوا يضيفوني في المركب من الطعام المفتخر كنتُ اوجّههُ وصرنا اصحاباً بالصدق . وهذه البلدة حيث يسكن الاسقف هي غنيّة بالاموال ومزخرفة

١) قناق (قُونَق) كلمة تركية معناها ترل السفر او المرحلة بعد قطع السفر

بالكنانس والديورة . والاسقف المذكور كان غنيًا جدًا لكن عديم الكرم بخيلًا في العطاء . واما الماء الذي يشربونهُ في هذه البلدة فهو عاطل . فتجد اكثر الناس يصير لهم مثل غدَّة كبيرة نازلة تحت حلوقهم . ويسكن في هذه البلدة هنود وايضًا سبنيول فبقيتُ فيها شهرين . واما ذلك الضرس المذكور الذي كنتُ اخرجتهُ من عظام الجبابرة الذين بغارة ساتا ايلينا فكان لرجل من اصحابي بنت في دير الراهبات فجاء تدخل عليَّ حتى يريهُ لبنتهِ . فانا طاوعتهُ كصاحب وسلَّمتهُ الضرس فلمَّا رأتهُ الراهبات فمن يد واحدة الى يد اخرى مَضيعوهُ (اخفوه) وما عدتُ وجدتهُ . ورمى اسقف البلد حرمًا حتى يظهروهُ فما صار ذلك ممكنًا . وكانت في هذا الدير راهبة في مرض تريف الدم ثماني سنين . فلما اضافني الاسقف عندهُ طلب مني ما هي منفعة الماء الذي يخرج من ذلك القصب المذكور اعلاه فقلتُ لهُ : انا قرأتُ في بعض الكتب وفهمت ان ماء القصب نافع للذين بهم تريف الدم . فطلب مني ان اهدي هذه الراهبة من ماء القصب فاهديتها وشربتْ منهُ سبعة ايام فبرئتْ من علتها . وايضًا رأيتهم يصنعون في هذا البلد جوخًا مثل جوخ اللوندرا (١ . وايضًا حكوا لنا عن جبل عندهم ان منهُ خرجت من مدة سنين نار كمثل الرعد واصعدت هذه النار بعزم قوتها حجارة محرقة وحذفتها بعيدًا عن الجبل مقدار اربعين فرسخًا (٢

وذكروا لنا ايضًا ان من مدَّة سنين بينما كان احد الهنود يفلح الارض وجد ايقونة مريم العذراء مطمورة في الارض وهي عجيبة جدًا في الروا . فاخذها الى بيتهِ واخفاها في صندوق لهُ . فلمَّا جاء ثاني يوم الى الحقل ليفلح وجدها في الحقل فاعادها ثاني مرة الى بيتهِ . فثالث يوم جاء ايضًا ليفلح فوجدها هناك . ففعل كذلك عدَّة مرار وما

---

١) هو الجوخ العادي المصنوع اولًا في لندرا ثم في جنوبي فرنسة وقد اشتهرت في القرن السابع عشر والثامن عشر معامل اللنغدوق (Languedoc) في فرنسة التي كانت توفد الى الاسكل الشرقية في كل سنة نحوًا من خمسة عشر الف قطعة او ثوبًا ثمن القطعة او الثوب مايتا فرنك . اطلب Histoire du Commerce Français dans le Levant au XVII Siècle par Paul Masson

٢) هو جبل بيشنشا Pichincha وقد انفجر انفجاراً مهولاً سنة ١٦٦٠ فاحرق كل الضواحي

امكنهُ ان يضبطهـا في بيتهِ . ثمَّ انهُ اعلم بذلك اسقف البلد فخرج حينئذٍ الاسقف واستقبلها باكرام وأخذها بزياح الى مكان قريب من البلد وبنى لها كنيسة شريفة واسكنها هناك . وتسمَّى كنيسة مريم العذراء جكيكواه على اسم تلك الضيعة ويقصدونها من كل النواحي للزيارة . ولمَّا يحدث في هذه البلدة طاعون يأخذون هذه الصورة ويخرجون بالزياح الى بلد كيتو فحيثما عندهم تسعة أيام بكل اكرام ووقار وبواسطة هذه الشفيعة ينقطع الطاعون عن البلد . ثمَّ يرجعونها ايضاً بزياح الى كنيستها في الضيعة المذكورة

وايضاً ذكروا لنا ان خارجاً عن هذه البلدة درب اربعة وعشرين فرسخاً نهر يخرج من تلك الجبال . وعندما يزيد يرمي على الارض من قلب الجبل رملاً مخلوطاً بذهب . فهناك الناس يعرفون الزمن الذي ينقص فيهِ النهر فيذهبون ويغربلون النهر ويعزلونهُ من الذهب فانا نويت ان ابصرهُ بعيني . فأشار عليَّ الناس ان لا اروح لان السلوك في هذا الدرب صعب جداً لاجل ذلك قصَّرت السير اليهِ لكني اشتريتُ من ذلك الذهب في بلد كيتو

ثمَّ اني بعد ما بقيت في هذه البلدة شهرين خرجتُ قاصداً قرية تسمَّى اوطاوالو وفوق هذه القرية خيط يسمَّى في حكم الافلاك باللسان الفرنجي لينيا (Linea) (١ وتجد سكان هـذه القرية عديمي اللون مورّمي البطون وذكروا انَّ في بعض الايام تسقط من الجو طيور ميتة . وهناك ما يوجد فيْ غير ظل الاشجار والشمس دائمـة لا تغيب . وايضاً ذكروا لنـا ان خارج هذه البلدة كيتو بمقدار خمسة وعشرين فرسخاً يوجد هنود من الكفرة وهناك يروح قسوس يكرزون بايمان المسيح فاحضروا معهم من تلك الاراضي زهر اشجار القرفة . ولكن ما يوجد الناس يفهمون تربية هذا الدارصين واصلاحه مثل الدارصين الذي يجيْ من هند الشرق لانهُ حادّ يحرق والهنود لا يريدون أن يكتشف عليهِ السبنيول حتى لا يأخذوا بلادهم . وايضاً ذكروا لنا انهُ يوجد هناك جوز الطيب والهنود يجمعونهُ وهو اخضر مثل الزيتون الكبير ويرسلونهُ الى كراكس (Caracas) وهناك يبيعونهُ للانكليز والاولنديز ولا للسبنيولية . وايضاً في تلك الكورة دائماً صواعق ولمطار شديدة

---

١) معنى لينيا الخط بريد بهِ خط الاستواء (Ligne de l'équateur) الذي ينصّف الكرة الارضية الى قسمين متساويين شمالاً وجنوباً

١٥ من كيتو الى كوانكا – وصف عيد الثور

ومن هناك رجعتُ الى بلد كيتو ومنها خرجتُ قاصدًا القرية لاتاكونكا (La Ta-cunga) ومن هناك الى قرية انبات (Hambato) التي تبعد عشرة فراسخ من كيتو. ومنها الى بلد تسمّى ريوبانبا (Riobamba) وهذه بلدة جميلة العمائر واطيفة الكنائس وانا سهـا اغنياء. واشرفت نزلتُ في دير مـار عبد الاحد وقبلوني بفرح عظيم مع زائد الاكرام. وقدّستُ هناك. وعوائد قدّاس هذه الرهبنة تشاكل لبعض عوائد قدّاسنا فلهذا السبب انشرح خاطرهم عند استماع قدّاسي (١ وانا بعد ذلك بقيتُ هناك ثمانية أيام. ثمّ خرجتُ قاصدًا بلدةً تسمى كونكا (Cuenca) فبعد سبعة أيام وصلنا اليها وكان دربنا جبالًا وتلوجًا وتسمّى هذه الجبـال بارامو (Paramo) لشدّة البرد الذي هناك. ففي هذا الدرب يوجد نهر منحدر من الجبـال التي يسكنها الهنود الكفرة فذكروا لنا ان من مدّة سنين كان اولئك الهنود قد عملوا لهم خمسة سنابك صغار وركبوا فيهـا وانحدروا الى أن وصلوا الى الدرب الذي يمر به التجار السبنيولية فبينما كانوا ذات يوم مجتازين من هناك ومحتملين قتلًا من البضائع خرج عليهم الهنود المذكورون فترك الناس القتل احمالهم وانهزموا لخوفهم من القتل. ثمّ انّ الهنود فتحوا الاحمال واخذوا من البضائع الذي اختاروا وتركوا لهم عوضها اقراصًا من ذهب. فاتى أهل القتـل واخذوا ذلك الذهب عوض متاعهم

واما انا فبعد وصولي الى هذا البلد كونكا المذكورة صار مزاجي ضعيفًا وبقيتُ مطروحًا في الفراش عشرة ايام معالجًا من الاطباء. لكن شافية المرضى مريم العذراء اعطتني العافية. وحاكم تلك البلدة كان صاحبي لانهُ كان رفيقنا في المركب لما سافرنـا من اسبانية فاراد أن يعمل لي فرجة لاجل انشراحي وهذا المفترج يسمّونـهُ في بلاد اسبانيـة عيد الثور ويلعبون على هذا النوع: اولاً يحوطون ساحـة برفوف وخشب ثمّ يضعون خوانات شيئًا فوق شيء يعني كمثل الدرج ويجتمـع الناس ويجلسون فوق هذه الخوانات ويستكرون كل واحد منهم لاجل الفرجـة. وبعد ذلك يأتون الى تلك

---

٢) لرهبان مار عبد الاحد (الدومنكان) بعض طقوس قديمـة في ليتورجية القداس خاصة بهم تقترب من عوائد الشرقيين وهي لا تزال مرعية عندهم الى ايامنا

الساحة بثور من الثيران البريَّة الوحشية ويكون ذلك الثور مسجوناً · فعند ما يفلتونهُ على غفلة في تلك الساحة المحاطة بالناس يجري الثور جازعاً وما ينظر لهُ دربا ينفذ منهُ · فبعد ذلك يدخل اليهِ خيَّال وفي يدهِ رمح ويتلاعب مع الثور والثور يهجم عليهِ فيهرب منهُ وبعد ذلك يقتل الثور · والثور ايضاً بعض احيان يقتل الفرس وفارسها بقوة قرونهِ وهذا العيد والمفترج في كل ملك اسبانية اعتادوا ان يصنعوهُ في موسمهِ كل عام

١٦ معادن الذهب

ومن بعد ذلك خرجتُ من هناك قاصداً قرية تسمَّى خاوخا (١ فسرنا في صعوبة الامطار ليلاً مع نهار مقدار ثلاثة ايام ودخلنا الى خاوخا وبقيت هناك يوماً وليلة من شدَّة البرد وكثرة الامطار وثاني يوم خرجتُ منها قاصداً الجبال التي هي معدن الذهب الى قرية تسمَّى صارونا (Zaruma) فصرنا في درب عسر الجواز بين الجبال مقدار ثلاثة ايَّام · ووصلتُ الى تلك القرية المذكورة وهي على راس جبل وحولها المعادن الذهبيَّة · فنظرتُ جميع تلك الصنائع التي بها يستخرج الذهب من الحجارة · اولاً يُطلعون الحجارة من المعدن ويسحقونها بطاحون الماء وحينئذٍ يغسلون ذلك التراب المسحوق ويقطعون منهُ الذهب بتصويلهِ في الماء · ثمَّ يذوّبونهُ ويسكبونهُ اقراصاً · وانا اشتريتُ من ذلك الذهب اربع مئة مثقال لان ما كان زمان شغل كل الطواحين · وبعد عشرة ايام اردتُ ارجع الى دربي لكن خوري تلك الضيعة قال لي ان يوجد درب آخر وهو احسن من دربك لكنَّهُ درب قفر خالٍ من الناس والقرى فتحتاج أن تأخذ معك زوادة كفاية خمسة ايَّام · فوقفتُ لشورهِ وطمتُ لقولهِ وحملتُ معي ما احتاج من الزوادة واخذتُ معي رفيقين اعني مكاريين الواحد منهما هندي والآخر مستيسو يعني ممزوج امهُ هنديَّة وابوهُ اسبنيولي

١٧ اسفار واخطار

ثمَّ سرنا في درب غاطل بين الجبال يوماً وليلة · فاراد الشيطان ان يطفي ذلك المكاري المستيسو لانهُ كان قد نوى قتلي لكن الله تعالى كشف نيَّته على يد خادمي

---

١) هكذا في الاصل واسم هذه المدينة في الخارطات التي بيدنا لوخا (Loja)

فاخذتُ منهُ السلاح وبقيتُ متحذرًا على روحي الى وقت ما وصلنا الى ثلاث قرى مقتربة لبعضها الواحدة تسمَّى باسيليكا والثانية جونجوناماه والثالثة واكاناما فلمَّا نظرني سكان هذه القرى الذين هم هنود تحيروا مني قائلين : كيف دخلت في هذه الدروب العسرة امَّا انك نبيٌّ او قديسٌ . وقسوسهم ايضًا هنود مثلهم لكن هنود تلك البلاد ليس لهم ذقون بل بعض شعرات ثابتة في حنكهم . وانا لاجل اني كنتُ رجلًا كامل اللحية فكانوا يتعجبون مني قائلين انني ذو شجاعة شديدة بحيث جزتُ تلك البلاد .

ثمَّ ثاني يوم خرجنا من هناك مسافرين وقاصدين قرية تسمَّى طاپيه (Amotapé) فبينما ذات ليلة وانا نائم تحت الخيمة عمل رفيقاي الاثنان المذكوران ما بينهما شورًا وتدبيرًا على قتلي وانا كان معي صبيٌّ صغير من اولاد الهنود وكان يعرف اللسان السبنيولي وهذا الصبي قام في الليل والَّا سمع كيف انهما تشاورا على قتلي . فاسرع الصبي مرتعشًا اليَّ وفيقني واعلمني بذا الامر لكن بتوفيق الله تعالى انفرد تلك الليلة بغلٍّ من البغال وظلَّ هاربًا بين الجبال . فاخذ رفيقي المستيسو المذكور يركض خلفهُ طول الليل ورجع بهِ عند طلوع الشمس . فذلك الوقت اخذتُ منهما اسلحتهما لان ما كان معي سلاح ومن خوفي من مكرهما اخذتُ السيف بيدي وناديتُ المستيسو وقلتُ لهُ : ابرك (١ على ركبتيك وأَصدِقني كيف طغاك الشيطان على هذا الفكر اعترف امامي بالصحيح . فاقرَّ معترفًا وطالبًا مني ان اغفر لهُ واسامحهُ . ثمَّ بعد خمسة ايَّام وصلنا الى تلك القرية المذكورة . فمن قبل دخولنا الى القرية بين الاشجار هرب هذان الخائنان من خوفهما وتركا بغالهما فجاء خوري الضيعة واقتبلني باكرام . ثمَّ اني حكيتُ لهُ عن الاحوال التي عرضت فقال لي : الله نجاك من شرّهم لان اخي هكذا قتلوهُ في هذا الدرب . وهذه القرية يجري بجانبها نهر يسمَّى نهر كولان (Fleuve Colan) وفيه سمك زاند وهو كنهر الدجلة . فذلك اليوم جزتُ هذا النهر ووصلتُ الى بلد يسمَّى كولان (Ville de Colan) كلهُ هنود . ثمَّ نزلتُ في بيت الخوري وكانت ليلة عيد مار يعقوب اخي الرب . فعزمني الخوري ان اقدّس ثاني يوم وكل النذر الذي يقدَّم للخوري يكون لي انا . فقدّست ثاني يوم وحضر جميع الهنود قدّامي وكان

١) اي اجلس وهي كلمة حلبية

عددهم اربعة آلاف نفر . وبعد خلوص القدّاس جلستُ على كرسي وعملتُ بركة اعني خبزًا مباركًا . فبقيَ النـاس يجيئون يبوسون يدي ويأخذون البركة ويرمون النذر في الصينية . فبعد خلوص ذلك نظرتُ اجتمع من النذر مقدار مائتين وخمسين غرشًا

١٨ مغارة الذهب في بيوره (Piura)

فبعد يومين كتبتُ الى حاكم بلد بيوره ان يرسـل لي تختروان الذي يسمّى بلسان السبنيولي ليتيرا (١ لان هذا الحاكم كان مرافقنـا من اسبانية مع عيالهِ . فهي حال وصول مكتوبي اليهِ أرسل لي التختروان . لان في تلك الارض يصير تعب عظيم للذين يروحون راكبين الخيل بسبب الحر والرمل . فجزنا الى ميناء على ساحـل النهر يسمى پايتـا (Payta) وهي بعيدة من كولان فرسخين ومنها سافرنا بالليل الى بلدة تسمّى بيوره درب اربعة عشر فرسخًا . فنزلتُ في دار الحاكم واقتبلني بزائد الاكرام . وهذه البلدة ساكنوها اسبانيولية مع هنود اغنياء وبها كنائس مزخرفة ومحتشمة

وذكروا لنا ان من مـدّة خمس عشرة سنة كان رجل من اشراف الهنود يسمى كاسيكي وكان غنيًا وما لهُ سوى بنت واحدة . فيومًا من الايام سافر ابوها الى غير بلد . فالبنت المذكورة نظرت رجلًا لابسًا ثيابًا حقيرة فقالت لهُ : ما بالك لابسًا هذه الثياب الدنيّة . فاجابهـا قائلًا : لشدّة فقري وعازتي . فاجابتهُ قائلة : ان كنت تكتم السر فانا اعطيك من الخيرات حتى ارضيك واغنيك . فقال لها : نعم هكذا يكون . فوعدتهُ هذه البنت ان لمّا يحين الليل يجيء ينتظرها في المكان الفلاني فتأخذهُ الى مغارة ابيها التي هي خارج البلد ثمّ انهـا اخذت ذلك الرجل بعد ان ربطت عينيه وقادتهُ الى المغارة المذكورة كضرير . فلمّا وصلا الى المغارة حملتهُ من اقراص الذهب على قدر مـا يقدر حمله ورجعت الى قرب البلد وفكت الرباط عن عينيهِ واطلقتهُ بسبيلهِ . فلمّا جاء ابوها من سفرهِ قصد ذات يوم المسير الى المغارة ونظر في باب المغارة اصل دوسة مداس فعلم ان ذلك الكشف صار من بنتهِ فسقاها سمًّا وماتت وهو ايضًا مات على غفلة والى اليوم يستقرون المغارة وما قدروا ان يلاقوها

(١ Litera وبالفرنسويّة Litière وتختروان كلمة فارسية مركّبة من لفظتين معناها سرير السفر

١٩ من بابنا الى طروخيلو

وبعد أن مكثتُ هنـاك عشرة أيام خرجتُ قاصداً قرية تسمى ليلموا فمررنا في درب مقفر عديم المـاء وكلهُ رمل مثل ارض مصر وكل أهل هذه القرية هنود لكن قسيسهم فقط اسبنيولي فالبعض منهم نصارى حقيقيون والبقيَّة نصارى من خوفهم. وثاني يوم خرجتُ قاصداً بلدة للهنود تسمَّى لمبايك (Lombayeque) وهذه البلدة كبيرة يسكنها هنود اغنياء وبعض من السبنيولية. فعزمني وكيل الاسقف الذي هناك الى دارهِ وطلب مني ان اقدّس يوم الاحد واكرز على الهنود باللسـان السبنيولي. فقدست نهـار الاحد وكرزت عليهم وكان في الكنيسة خمسة وثلاثون قسيساً ومقدار ثلاثة الاف نفس من العوام فصار لهم انشراح عظيم من تلك الكرزة وكانوا يتعجبون مني بسبب الذقن وتغيير الثياب وكانوا كلهم يكرموني ويتباركون مني لاني وهبتُ لهم مسابح وصلباناً من القدس. ثمَّ بعد خمسة ايام خرجتُ من هناك قاصداً بلدة تسمى سانيا (Sagna) وهذه بلدة كبيرة يسكنها هنود واسبنيول. وفي جانب هذه البلدة يسلك نهر كبير وكنتُ اسافر في الليل لشدة الحر وانا راكب في ليتيرا اعني تختروانا

فذات ليلة تغافل المكاري ونحن فضلنا البغال عن الدرب ودخلت في الحرش بين الاشجار وهذا الحرش داخلهُ عظيم لا لـهُ اول ولا آخر. فلمَّا قمت على ذلك امرت خدَّامي ان نترل هناك لئلا نتيه ازيد عن الدرب ونهلك مثلما جرى لاخرين. فلمَّا صار الصبح قلتُ للمكاري الهندي ان يعمل ناراً كثيرة ودخاناً عظيماً. فامَّا رفقاتنـا فكانوا سبقوني الى المترل. فلمَّا نظروا اننـا تعوّقنا علموا اننا تهنا عن الدرب فارسلوا اناساً ليفتشوا علينا. فانا قلت للمكاري ان يصعد الى راس شجرة عالية وينشر علماً ابيض يعني بيرقاً فثاني يوم قريب نصف النهار وصل الينا اولئك المفتشون فرأوا هناك على نيشان ذلك البيرق واعتاظوا على المكاري كيف انهُ حاد عن الدرب. واكثر اشجار ذلك الحرش من اشجار القطن ما لهم اصحاب وهو خشن جداً قدر الرمان وحبهُ قوي صغير لكن شعرة هذا القطن طويلة كالصوف وكل من يريد من الهنود يروح يأخذ قطناً على قدر حاجتهِ. وينسجون منهُ ميازر للنساء وغيرها من الحوائج اللازمـة. فوصلنا بعد يومين الى البلد المذكور الذي يسكنـهُ اسبنيول وهنود وحاكمهم يسمى

جنرال . فبقيتُ هناك اربعة أيام بعز واكرام من الجنرال ومن وكيل الاسقف . ثمَّ خرجتُ من هناك قاصداً بلدًا يسمى طروخيليو (Trujillo) فسرنا درب عشرة أيام وهو درب عسر قليل المنازل وعديم المعاش وكنتُ قد اخذتُ معي ما اعتاز اليهِ من قسم الأكل والشرب وكان لي حصان وبغلة يدك (١ لما يكون الوقت يروده كنتُ اركب عليها واذا وَغلت وتعبت من الركب كنتُ ادخل الى التختروان . فجزتُ الى هذه البلدة المذكورة وهي كبيرة يسكنها اسقف وكان حينئذٍ الاسقف قد توفي وبقي الكرسي خاليًا . وفي هذه البلدة رهبان من رهبنة مار افرنسيس ورهبنة مار اغناسيوس اليسوعية وايضاً قسوس وخوارنة جميعهم مقدار الفي كاهن . فعزمني رهبان مار افرنسيس ان اقدس عندهم وكان نهار عيد مار افرنسيس الذي دائماً يحكيم في ٤ تشرين الاول . فرحتُ قدّست هناك فكانت الكنيسة ملآنة من الناس فانشرحوا كثيرًا من قداسي لان كان معي آلة القداس والبدلة التي كان انعم عليَّ بها سيدنا البابا . وكان نيشانهُ وختمهُ مرسومًا عليها . وكان الناس يأتون ويتباركون منها

٢٠ السفر الى ليما

فمن بعد أن بقيت في هذه البلدة عشرة أيام رجعتُ قاصدًا بلد خامركا (Cajamarca) التي هي في راس جبل وكان يسكنها ملك الهنود الذي كان يسمى اينكارسوف . وسنتكلم عن خبر هذا الملك العظيم . فبقيت هناك ثلاثة ايام واروني كل ما صار على هذا الملك وكيف قتلهُ الاسبنيولية . واليوم الرابع خرجتُ من هذا البلد قاصدًا بلدة ليما (Lima) حيث يسكن وزير الملك الذي يحكم على تلك البلاد فنزلتُ من الجبل قاصدًا البلدة المذكورة ومن بعد اربعة ايام وصلنا الى نهر يسمى سانتا (Santa) . فهذا النهر زائد الماء وما لهُ مجاز فيجوزونهُ بشدَّة وخوف . لان الهنود اخترعوا شيئاً للمجاز يسمى بالصا (Balsa) يعني كلكاً فيجمعون قرعات يابسات ويربطونها ببعضها مثل كلك ثمَّ يحملون عليها خشباً وفوق الخشب حشيشاً مثل عروق الشجر ويحملون الاحمال عليها ويفرّتون الناس من جانب الى جانب . والدواب تقطعهُ سباحة بالماء . فجزنا هذا النهر بخشوع وطابات الى الله ووالدتهِ مريم العذراء ومن هناك بقينا مسافرين وجزنا على

(١ يدك كلمة تركية يراد بها دابة ثانية يستعملها الجبال عند الحاجة

اراضي قصب السكر وعلى المعامل التي فيها يشتغلون الجوخ . وكان في رفقتي رجلان فقيران كل واحد ناقصة لهُ يد . فالاول كان جندياً وانقطعت يدهُ بالحرب مع الهنود والاخر كان لدغتهُ حيَّة في يدهِ فقطعوها لهُ

٢١ الاقامة في ليما

فمن بعد ثمانية ايام وصلنا الى مدينة ليما (Lima) المذكورة ونزلت في بيت الانكيجيدور (Inquisidor) اعني رئيس ديوان الايمان لانهُ كان صاحبي من اسبانيا . وكنت دَيَّنتهُ الف واربعماية غرش في مدينة بورتوبلو فاعطاني فائدة عن كل ماية غرش اربعين غرشاً مثل ما يسلك بين التجار في تلك البلاد . ثم بعد ان ارتحت من تعب الدرب رحتُ قابلت الوزير وقدمت لهُ امر الملك ومكاتيب الوصيَّة التي احضرتها معي من اسبانيا . وهذا الوزير كان رجلاً مباركاً اسمهُ دون بغدسار ويلاكوكونده ده كستيليارو مركيز ده ماراكون من اكابر اسبانيا . فقبلني بفرح عظيم ووعدني انهُ يساعدني في جميع الذي اعتازهُ . ثم اني دخلت زرت امرأتهُ فاقبلتني ايضاً بالاكرام . وهذا الوزير المبارك كان قد تزوج منذ اربع عشرة سنة وما رُزق ولداً وسنأتي بعد هذا بحكايتهِ . ثم اني رجعت فزرتُ كبير الكهنة الذي يسمَّى ارشيدياقون مع جملة ارفاقهِ الكهنة لمَّا كانوا مجتمعين في الكنيسة للصلاة . واما مطران هذه البلدة فكان قد توفي وبقي الكرسي خالياً من مطران . ولهذه المطرنة مدخول في كل سنة خمسين الف غرش وتحت يدهِ مائة وعشرون خورياً وكانوا منتظرين المطران الجديد الذي كان آتياً من اسبانية . وبعد ان بقيت في هذه البلدة عشرين يوماً وقعتُ مريضاً في الفراش بمرض شديد وكان حكماء الوزير يعالجوني . فشفاني الرب من مرضي بعد عشرين يوماً بشفاعة ام الرحمة مريم العذراء . فقمتُ ورحت عند الوزير وتلاقيت معهُ ثاني مرة فقبلني بفرح وعز واكرام . ولمَّا كنت مريضاً كان يرسل عندي خزندارهُ يزورني مع احمال من الحلاويات المفتخرة وكان يسأل عن حالي كل يوم مرتين . وفي ذلك الحين جاء رجل من اصحاب المعادن وقال للوزير انهُ يقدر يستخرج الفضة من الحجر من غير ان يضيف اليها زيبقاً . فلمَّا امتحنوا صنعتهُ وجدوها اختراعاً كاذباً . وانا كنت حاضراً ونظرت ذلك عياناً

وقبل ان تملك السبنيولية هذه البلاد ما كان احد يعرف الاله الحقيقي وكان البعض يعبدون الاصنام والبعض كانوا يعبدون الشمس والقمر والنجوم وما كان لهم احرف ولا كانوا يعرفون القراءة والكتابة . لكن لمَّا يريدون ان يقدموا عرض حال الى ملكهم كانوا يصورون تصاوير في منديل على حسب شكاوتهم . وكان في زمان فتح هذه البلاد ملكان اخوان الواحد يسمى وداواليا والاخر يسمى وسكارانيكا . وكان بينهما الحرب وكانت آلة سلاحهم وعدتهم القوس والسهام ورماح ومقاليع لحذف الحجارة . وما كان لهم مواشي اعني مثل افراس وبغال وحمير ولا ثيران ولا بقر ولا غنم ولا دجاج سوى جنس حيوان شبه الجمل بقدر الحمار وحدبتهُ في صدرهِ يحملون عليهِ ويأكلون لحمهُ لكنهُ ما يسافر بعيدًا . وكل يوم قناقهُ اربعة فراسخ لا غير فلمَّا يتعب ينام ويزيد ويثقل على اصحابهِ . وهؤلاء الهنود لمَّا كان يموت احد منهم كانوا يصنعون لهُ قبرًا عاليًا علو ذراعين وطول ثلاثة اذرع وكانوا يضعون في قبرهِ آلة صنعتهِ مع شربة من خمر الذرة

٢٢ وصف ليما

وفي هذه البلدة يصير زلازل كثيرة وشديدة . ثم ان الوزير وعدني ان يقف بخدمتي طول ما انا بالهند . وكتب الى جملة البلاد والقرى التي تحت حكمهِ يوصيهم عليَّ بالاكرام . وفي ليما عدَّة ديورة وكنائس اولها الكنيسة الكبيرة التي هي كرسي المطران وغير كنائس للقسوس واربعة ديورة لرهبان مار افرنسيس وثلاثة ديورة لرهبان مار اغستينوس وثلاثة ديورة لليسوعية وثلاثة ديورة لرهبان المرسي (Merci) واربعة ديورة للراهبات وفي كل دير يسكن الف راهبة (١ . وايضًا اربعة ديورة لراهبات الفقراء مثل ايتام وارامل ومنقطعين وديران باسم مار يوحنا لمداواة المرضى اي الغرباء والفقراء واسبيتال يعني مارستانًا كبيرًا على اسم الملك لان الملك يصرف عليهِ ويسمى مار اندراوس وكانوا يعزموني لاقدس في الكنائس والديورة ويكرموني غاية الاكرام وبقيت في هذه البلدة مقدار سنة في بيت رئيس ديران الايمان المذكور اعلاه يسمى دون خوان باتيستا ديلا كانترا يعني يوحنا المعمدان من بلد كانترا . وهذا المبارك كان رجلًا كاهنًا وما اراد ان اصرف شيئًا على المأكول والمشروب . وهذه البلدة غالية المعاش بهذا المقدار حتى

١) مبالغة او خطأ من الناقل

ان الدجاجة تساوي غرشاً ونصف غرش . وبعد اني تعافيت من مرضي زارني جميع رفقة الكهنة الذي يسمى كبيلدو (Cabildo) (١ يعني ديوان الكنيسة من حيث اخذوني في الرفقة الى الكنيسة بالزياح وعند دخولنا للكنيسة حيث يمكث المطران والخوارنة اجلسوني جانب كرسي الارشيدياقون الذي بجانب كرسي المطران اكراماً لي . ثم طلبوا مني ان اقدس فارسلت واحضرت من الدار آلة القداس فقدست لهم قداساً باللسان الكلداني يعني السرياني الشرقي فصار عندهم انشراح زايد لاستماع قداسي . فثاني يوم صنعوا ديواناً بايامهم (مع بعضهم) وارسلوا اليّ الف غرش وكذلك ايضاً في باقي الكنائس والديورة من الرهبان والراهبات كانوا يرسلون اليّ شيئاً كثيراً واذا كان لي عجلة يعني عربانة (٢ باربعة بغال مع عبد اسود خادمها (لهُ تتمّة)

المعادن في لبنان

نظر الاب هنري لامنس اليسوعي مدرس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقي

ثانياً المواد المعدنية

ليس للبحث في هذا الموضوع مجالٌ واسع وما نورده في هذا الفصل دون ما قدّمناه في فصل الوقود

فلنباشرنّ بالحديد ولولا مخافة الالتباس لسمّيناهُ سيّد المعادن بدلاً من الذهب الذي خُصّ بهذه التسمية على غير حق . نعم ان الحديد من حيث اللمعان الظاهر والقيمة المجرّدة اقلُّ قدراً من بقيّة المعادن كالذهب والفضة والنحاس والزيبق وغيرها لكنهُ اكثر منها انتشاراً في الكون واعظم منها فائدةً للانسانية ولا يضاهيهِ في ذلك الّا الفحم الحجري الذي يشبههُ بسواد لونهِ وقلة نضارتهِ

ولقد يتبادر الى الذهن ان اغنى البلاد مالاً واوسعها اتجاراً واقدرها صناعةً هي البلاد التي توفّرت فيها معادن الذهب ومناجم الالماس والصحيح ان اغنى بلاد الله هي ما كثرت بها معادن الحديد ومناجم الفحم الحجري . فالمعادن الثمينة انما ينتفع منها بعض الخاصّة المُنعَم بها عليهم فتفيدهم زهواً وتزيدهم لهواً وان توارت عن وجه المعمور فلا

١) وبلافرنسية (Chapitre) ٢) اي مركبة